وقفة بعد وقفتين مع عبد الله الأحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن دفاع فضيلة الشيخ العلامة بحق أ.د. ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله تعالى ومتعه بالصحة والعافية– عن تلميذه الشيخ الدكتور عرفات بن حسن المحمدي –وفقه الله– وإخوانه رادًّا لطعون الشيخ محمد بن هادي المدخلي فيهم وتحذيره منهم كان كالطوفان على نيران الفتن التي أججها عبد الله بن عبد الرحمن الأحمد بين السلفيين في شتى البلدان، فأطفأ معظمها ولله الحمد، ورجع الكثير من السلفيين الذين كانوا قد اغتروا بتحذيرات الشيخ محمد بن هادي منهم عن نصرتهم له وتركوا التعصب لرأيه؛ لأنهم أدركوا أن الحق مع من يعارضه فيه من العلماء وطلاب العلم.

وقد كتب عبد الله الأحمد بعد هذه الكارثة –في نظره ونظر بقية الطائفة المصَعْفِقَة– رسالة هزيلة للغاية[1] –كعادة رسائله التشغيبية التي ليست فيها ذرة من علم، فلا فيها نقل مصدق عن معصوم، ولا قول عليه دليل معلوم– حاول فيها أن يدفع عن نفسه ما ثبت باليقين ويشهد به مَن عايشه مِن إثارة الفتن بين السلفيين والسعي في الإفساد بينهم، ويرمي بذلك غيره بدون أي دليل أو تعليل، بل كلامه مجرد اتهامات ودعاوى عارية عن الإثبات، ومثلها تعتبر لاغية ما لم يأت صاحبها بالأدلة المقنعة التي تثبت صحة ما ادعاه، ويكفي في ردها عدم الدليل عليها، كما قيل:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها   بـينـاتٍ أبنـاؤهـا أدعـيـاءُ

(١) قد سماها الأحمد «تأملات للعقلاء»، وهي أحق بأن تسمى: «تلبيسات على الأغبياء»؛ فإنه لا يقبل مثل هذه الترهات التي حشرها إلا من اشتد غباؤه فلم يتضح له الحق مع وضوحه كالشمس في رابعة النهار لكل ذي عينين وعقل سليم، فيلبس عليه الأحمد بمثلها.

وأعلى منه قول الله جل وعلا: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وأنّى له أن يأتي بدليل على ما هو كذب صُرَاح وبهتان عظيم؟ فقد ادّعى أن من ينبزهم بلقب الصعافقة قاموا بإفساد أكثر من صلح، حيث قال:

«من يسعى لإفساد ما يقوم به شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله من الإصلاح؛

فقد قام الشيخ ربيع للإصلاح[١] بين الشيخ أسامة عطايا وعرفات وعبدالواحد ومن معهم، ثم أفسد هذا الصلح بشروط مسبقة للصلح من قبل الطرف الثاني.

وبعده (تم إفساد) الإصلاح الذي تم في بيت الشيخ ربيع بحضور الشيخ محمد بن هادي والشيخ أحمد السبيعي والعنجري وبازمول وعادل منصور والبخاري[٢] وأبوالفضل[٣] ورزيق وغيرهم.

وفي رمضان الماضي أفسد الإصلاح الذي تم بين مزمل فقيري ونزار.

والآن يسعى لإفساد صلح الأندنوسيين».

---

(١) هكذا.

(٢) ليتأمل العقلاء كيف وصف الأحمد أسامة بن عطايا الفلسطيني صاحب الفتن وجراب الكذب والروغان والذي حذر منه العلماء بالمدينة بـ«الشيخ»، ولما ذكر فضيلة الشيخ أ.د. عبد الله بن عبد الرحيم البخاري –حفظه الله– الذي لا ينكر فضله ومكانته وجهوده في نشر الدعوة السلفية والذب عنها إلا جاحد سلبه من جميع ألقاب التبجيل ولم يذكر حتى اسمه وأخره مما يدل على ما في قلبه من حقد دفين على هذا الشيخ الجليل الذي اشتهر بملازمته للعلامة السلفي محمد أمان الجامي –رحمه الله– وهو صاحب الدروس والبحوث والتحقيقات والردود التي يشهد بنفاستها ودقتها القاصي والداني، فحسبنا الله على الأحمد وأمثاله من المتعالمين الذين أقحموا أنفسهم في صفوف المشايخ ويتحدثون في الفتن والنوازل كأنهم أهل لذلك، ثم يرمون الذين صعفقوهم بالبلايا والأزمة التي تجري على السلفيين بسببهم، والله المستعان. ومما يدل على شدة تعظيم الأحمد لأسامة بن عطايا أنه يحيل الناس عليه ويرشدهم إلى الرجوع إليه في النوازل بدعوى أنه أعلم بما يجري في بلد السائل –كما هو موثق عندي بالصورة وهي منشورة على شبكة الانترنت–، مع أن من مسلّمات المنهج السلفي أنه لا يُرجع في النوازل إلا إلى العلماء الكبار الراسخين في العلم. وهذا يدل بوضوح على انحراف الأحمد في معرفة العلماء وأنه لا يميز بينهم وبين الأدعياء، ولذا فلا يُلْتَفَت إلى أحكامه في الاختلافات التي تقع بين العلماء وطلاب العلم.

(٣) هكذا.

وهذا الكلام الركيك الذي سطره الأحمد برهان على انحطاط صدقه وأمانته، فما زعم من نقضهم للصلح الأول باطل؛ فالذي نقضه إنما هو الطرف الذي يواليه الأحمد؛ إذ لم يَقُمْ بالوفاء ببعض شروط الصلح الأربعة نابذًا قولَ النبي ﷺ: «**المسلمون على شروطهم**»[(١)] وراء ظهره.

وأما الصلح الثاني الذي ذكره فإنه لم يتمَّ أصلًا؛ فإن المجلس الذي أشار إليه الأحمد لم تكتمل فيه الأطراف ولم تتكافَ، وكانت هناك تتمة له لم تحصل بسبب مماطلة الشيخ محمد بن هادي في الأمر، فكيف يدعي الأحمد أنهم نقضوا صلحًا قد تم مع أنه لم يتحقق أصلًا؟ هذا بهتان عظيم.

وأما دعواه أنهم أفسدوا الصلح بين السودانِيَّيْنِ، فهو يعتمد في ذلك على دعوى مزمل فقيري أن الشيخ د. عرفات المحمدي –وفقه الله– حثَّه على الرد على الشيخ نزار هاشم بعدما أصلح بينهما العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله–، وهذا كذب على الشيخ عرفات؛ فإن الشيخ عرفات لم يحث مزملًا على الرد وإنما أعطاه الملحوظات التي عليه لأجل أن يجيب عنها، وذلك بغرض أن ينظر العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله– في إجاباته ليتعرف على حقيقة هذه الملحوظات التي من أجلها تكلَّم فيه الشيخ نزار هاشم، ويحثه على الرجوع عما ثبت منها، وكان الشيخ عرفات قبل ذلك قد استشار الشيخ ربيعاً في هذا الفعل فاستحسنه وأقره، وليس فيما فعله الشيخ عرفات إفساد للصلح، بل رجوع المخطئ عن أخطائه مما يثبت الصلح ويديمه، فليتأمل العقلاء كيف جرت الكذبة إلى كذبة أخرى.

وأما دعوى الأحمد أنهم يحاولون إفساد الصلح بين الإندونسيين، فهذا لا وجود له إلا في خيالات الأحمد، فإن زعم غير ذلك فليدلِ بحجته بدل أن يرمي الناس باتهاماته الفارغة ليشغب بذلك على الهمج الرعاع.

وأما زعم الأحمد أن السلفيين الذين ينبزهم بلقب الصعافقة لا يريدون الصلح فهو اتهام آخر يضاف إلى قائمة اتهاماته التي أطلقها عليهم ولم يأت بنصف حجة تدل على صحة ما يلصق بهم، وقد طالت هذه القائمة، ومواقفهم تُكَذِّب دعواه، وكم حرص عدد من الأشخاص على أن يجلس

---

(١) أخرجه أبو داود (رقم ٣٥٩٦)، والترمذي (رقم ١٣٥٢)، وغيرهما، وصححه الألباني في إرواء الغليل (رقم ١٣٠٣).

الشيخ محمد بن هادي مع من يحذر منهم من السلفيين –الذين يعرفهم غاية المعرفة لكثرة مجالسته معهم أثناء الزيارات وفي الدروس الخاصة وغير ذلك– بغرض الصلح لكنه رفض ذلك رفضًا تامًّا، بينما كان من يسميهم بالصعافقة مستعدين للجلوس معه لتحقيق هذا الغرض الشرعي الذي حث الله عليه في قوله: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، فمن الذي لا يريد الصلح؟

والسر وراء هذا الرفض أن عبد الله الأحمد وأمثاله من المحرشين قاموا بشحن صدر الشيخ محمد بن هادي بالشحناء على طلابه هؤلاء والوشاية بينهم حتى تصور الشيخ محمد بن هادي أنهم من أكابر المفسدين في الأرض(١)، وهو يصدِّق الأحمدَ فيما يقوله ويقبل منه لشدة وثوقه به، وكأن الإمام يحيى بن أبي كثير –رحمه الله– قصد الأحمد بقوله: «يفسد النمام في ساعة ما لا يفسد الساحر في شهر»(٢).

وليتأمل العقلاء قول الأحمد في نهاية رسالته السابقة(٣): «نحن في هذه القضية التي قام بنصرتها الشيخ محمد بن هادي على ما نحن عليه»، فهو يقرر أن الشيخ محمد بن هادي قام بنصرة قضيتهم لا أنهم قاموا بنصرته في قضيته، مما يؤكد قيام الأحمد ومن معه بالوشاية بين الشيخ محمد بن هادي المدخلي ومن عادوهم من تلاميذ الشيخ عبيد الجابري –حفظه الله– وإلقاء الشحناء والبغضاء بينهم بعدما جرح الشيخ عبيد بعض من يوالونهم، والله حسيبهم.

ونتج عن أفاعيلهم أن الشيخ محمد بن هادي حذَّر من مجموعة من طلابه في المدينة وسماهم بالصعافقة، ثم لما طولب بإقامة الدليل على جرحه المعارض بتعديله هو وبتعديل غيره من العلماء عجز عن ذلك، إذ ليس عنده شيء غير دعاوى الأحمد وأمثاله التي لا قيمة لها البتة –كما اتضح ذلك مرة أخرى للعقلاء الذين يتأملون ما في رسالة الأحمد هذه من الافتراءات والاتهامات الباطلة–، فلجأ الشيخ محمد بن هادي إلى التمسك بالقاعدة المتفق عليها: (الجرح المفسَّر مقدم على التعديل)، وزعم أن جرحه لهم جرح مفسَّر، وهو يعني بالمفسَّر أنه معلوم المعنى في لغة العرب ويسفِّه من يطالبه بتفسير جرحه، وقد بينت في وقفتي الثانية مع المتعالم عبد الله الأحمد غلط هذا القول ومخالفته لما قرره

---

(١) كما يدل على ذلك كلماته الشنيعة التي قالها فيهم، وقد نقلت جملة منها موثقةً في الوقفة الثانية مع الأحمد.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٧٠).

(٣) التي بعنوان: «هل ما يدور الآن في الساحة السلفية قضية شخصية أو صراع بين الحق والباطل».

أئمة أهل السنة والجماعة، بل لما قرره الشيخ محمد بن هادي نفسه، وأن العلماء حرروا أن مذهب أئمة الحديث أن الجرح الذي يقدَّم على التعديل هو الذي فسّر الجارح أسبابه وأتى بالحجج المقنعة على ثبوته.

وأزيدكم من الشعر بيتًا:

قال الحافظ ابن عبد القوي المنذري -رحمه الله-: «قال أبو عبد الله المروزي: «**وكل رجل ثبتت عدالته برواية أهل العلم عنه وحَمْلهم حديثه فلم يُقْبَل فيه تجريح أحد جرحه حتى يَثْبُتَ عليه أمرٌ لا يُجْهَل أن يكون جَرْحَة، وأما قوله: (فلانٌ كذَّاب) فليس مما يُثْبِتُ جَرْحَةً حتى يبيّن ما قاله**».

قال أبو عمر يوسف بن عبد البر: «**جماعة الفقهاء وأئمة الحديث الذين لهم بَصَر بالفقه والفتيا هذا قولهم**»[1].

فإنه لا يُقبَل من ابن معين ولا من غيره فيمن اشتهر بالعلم وعرف به وصحت عدالته وفهمه إلا أن يبين الوجه الذي جرحه به على حسب ما يجوز من تجريح العدل المبرز العدالة في الشهادات. وهذا الذي لا يصح أن يُعْتَقَدَ غيرُه، ولا يحلُّ أن يُلْتَفَتَ إلى من خالفه، وبالله التوفيق»[2].

وبناءً على هذا: فكل جرح معارض بتعديل معتبر لا دليل عليه وجوده كعدمه ولا عبرة به عند العلماء، كما قال العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله ورعاه- في أثناء كلام له عن الاختلاف في جرح شخص وتعديله: «**إن كانوا جَرحوا بدون حجة فلا قيمة لكلامهم**، وإن كانوا جرحوا بحجة فيجب على من يخالفهم أن ينصاع ويرجع إلى الحق والصواب، وأن يأخذ بالحجة، فكثير من الناس يكذبون بالحق، ويرفضون الحق، وهذا أمر عظيم خطير جدًا. **فهذه هي القاعدة في الجرح والتعديل: يُطْلَب من هؤلاء الجرّاحين تفسيرُ جرحِهم والبينةُ عليه إذا لم يكن عندهم بينة**، أما إذا كانوا يملكون بينة وعندهم أدلة؛ فهنا تكون الحجة ويتبع الحق، وانتهى كل شيء»[3].

وتجريح من ثبتت عدالته بغير حق خطير للغاية، وسيذوق المتكلِّم في أعراض المسلمين بغيًا وبال

---

(١) التمهيد (٢/٣٤).

(٢) جزء فيه ذكر حال عكرمة مولى عبد الله بن عباس وما قيل فيه (ص ٣٣).

(٣) مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي (١٤/٣٤٣).

أمره في الدنيا قبل الآخرة، كما بين ذلك الحافظ السخاوي -رحمه الله- في قوله مخاطبًا من يتكلم في الناس جرحًا وتعديلًا: «احذر أيها المتصدي لذلك، المقتفي فيه أثر من تقدم، من غرض أو هوى يحملك كل منها على التحامل والانحراف وترك الإنصاف أو الإطراء والافتراء، فذلك شر الأمور التي تدخل على القائم بذلك الآفة منها، والمتقدمون سالمون منه غالبًا منزَّهون عنه لوفور ديانتهم، بخلاف المتأخرين؛ فإنه ربما يقع ذلك في تواريخهم وهو مجانب لأهل الدين وطرائقهم.

فالجرح والتعديل خطر؛ لأنك إن عدلت بغير تثبت كنت كالمثبت حكمًا ليس بثابت، فيخشى عليك أن تدخل في زمرة من روى حديثًا وهو يظن أنه كذب، **وإن جرحت لغير تحرز أقدمت على الطعن في مسلم بريء من ذلك، ووسمته بميسم سوء يبقى عليه عاره أبدًا، وهو في الجرح بخصوصه خطر؛ فإن فيه مع حق الله ورسوله ﷺ حق آدمي، وربما يناله إذا كان بالهوى ومجانبة الاستواء الضرر في الدنيا قبل الآخرة، والمقت بين الناس والمنافرة**، كما اتفق لأبي شامة؛ فإنه كان -مع كونه عالماً راسخًا في العلم، مقرئًا، محدِّثًا، نَحْويًا، يكتب الخط المليح المتقن، مع التواضع والانطراح والتصانيف العدة- كثيرَ الوقيعة في العلماء والصلحاء وأكابر الناس، والطعن عليهم، والتنقص لهم، وذكر مساويهم، وكونه عند نفسه عظيمًا، فصار ساقطًا من أعين كثير من الناس ممن علم منه ذلك، وتكلموا فيه، وأدى ذلك إلى امتحانه بدخول رجلين جليلين عليه داره في صورة مستفتين، فضرباه ضربًا مبرحًا إلى أن عيل صبره ولم يُغِثْه أحد.

ونحوه ما اتفق لبعض العصريين -ممن لم يبلغ في العلم مبلغ الذي قبله بيقين-، فإنه أكثر الوقعية في الناس بدون تدبر ولا قياس، فأُبْعِد عن البلد وتزايد به الألم والنكد، ومع ذلك فما كفَّ حتى ثقل على الكافة وما خفَّ، وارتقى لحجة الإسلام فضلًا عمن يليه من الأئمة الأعلام، فلم يلبث أن مات وما اشتفى من تلك النكايات، والله تعالى يَقِينَا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا.(١)

ولما في الجرح من الخطر؛ لما جيء للتقي ابن دقيق العيد بالمحضَر المكْتَتَب في التقي ابن بنت الأعز ليكتب فيه امتنع منها أشد امتناع مع ما كان بينهما من العداوة الشديدة، بل وأغلظ عليهم في

---

(١) وهكذا في عصرنا هذا، فالشواهد على ما جرى لمن أطلق لسانه في السلفيين بغيًا وعدوانًا من الخزي والإهانة والسقوط جلية، والسعيد من وعظ بغيره، فليتأمل العقلاء!

الكلام، وقال: «ما يحل لي أن أكتب فيه»، ورَدَّه، فتزايدت جلالته بذلك، وعُدَّ في موفور ديانته وأمانته، وانتفع ابن بنت الأعز بذلك، وكيف لا والتقي هو القائل -مما أحسن فيه-: أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس: المحدِّثون والحكام»، ونحوه قول بعضهم: من أراد بي سوءًا جَعَلَه الله[١] محدِّثًا أو قاضيًا»[٢].

ليتأمل العقلاء هذا النص يدركوا صدقَ قول إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل -رحمه الله-: «ما تكلَّم أحدٌ في الناس إلا سَقَطَ وذهب حديثُه»، يعني: بما لم يثبت وبغير حق.[٣]

وبعد أن دافع الشيخ ربيع عن تلميذه الدكتور عرفات المحمدي -حفظه الله- ورد جرح الشيخ محمد بن هادي له ولإخوانه مصرِّحًا بعدم ثبوته ازداد جرحه الذي زعم أنه مفسَّر وهنًا على وهن وصار مثل بيت العنكبوت؛ وذلك لأن أهل العلم قرروا أن المعدِّل إذا صرح باطلاعه على جرح الجارح فنفى ثبوته فإن قوله في المتكلَّم فيه مقدَّم، فقد قال الحافظ السيوطي -رحمه الله-: «إذا اجتمع فيه -أي: الراوي- جرح مفسر وتعديل فالجرح مقدم -ولو زاد عدد المعدل-، هذا هو الأصح عند الفقهاء والأصوليين، ونقله الخطيب عن جمهور العلماء؛ لأن مع الجارح زيادة علم لم يطلع عليها المعدل، ولأنه مصدق للمعدل فيما أخبر به عن ظاهر حاله، إلا أنه يخبر عن أمر باطن خفي عنه. **وقيد الفقهاء ذلك بما إذا لم يَقُل المعدِّل: عرفتُ السببَ الذي ذكره الجارح، ولكنه تاب وحسنتْ حاله؛ وقيَّد الفقهاءُ ذلك بما إذا لم يقل المعدِّل: عرفت السبب الذي ذكره الجارح ولكنه تاب وحسنت حاله، أو إذا ذكر الجارح سببا معيَّنًا للجرح فنفاه المعدِّل بما يدل يقينًا على بطلان السبب**»[٤].
فإذا نفى المعدِّل الجرح لعلمه بوهم الجارح فيه أو ضعف حجته عليه فإن قول المعدِّل مقدَّم على قول الجارح.

وعلى هذا سار علماؤنا المعاصرون، فقد قال مجدد الدعوة السلفية في اليمن العلامة مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-: «الجرح المفسّر يعتبر مقدَّمًا، اللهم **إلا أن يأتي المعدِّل بما يثبت وَهْم**

---

(١) يعني: فجعله، وهذا دعاء منه عليه.
(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٤/٤٣٥-٤٣٧).
(٣) انظر: بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم لابن المبرد (ص ٨-٩).
(٤) تدريب الراوي (١/٣٠٩).

الجارح...، لكن إذا تكلم الجارح **ولم يُنْفَ كلامه بما يوجب وهمه،** أو كذبه فالجرح المفسَّر مقدَّم على التعديل، والله المستعان»، ثم ذكر أن قاعدة (الجرح المفسّر مقدَّم على التعديل) لا يؤخذ بها مطلقًا بل لا بد من النظر إلى القرائن.(١)

وما ذكره العلامة مقبل من مراعاة القرائن المحتفة بالجرح وبالتعديل عند تعارضهما هو ما قرره العلامة محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله– أيضًا، حيث قال: «إذا تعارض الجرح والتعديل –وهذا الذي فيه التفصيل– فالمفسَّر منهما مقدم على غير المفسَّر:

١- إن كان الحرج مفسرًا والتعديل مبهمًا، قدم الجرح.

٢- وإن كان الجرح مبهمًا والتعديل مفسرًا؛ قدم التعديل.

٣- وإن كانا مبهمين؛ فيقدم الجرح.

٤- إن كان مفسرين؛ فيقدم الجرح، إلا إذا قال المعدل: كان فيه هذا الشيء ثم زال عنه، فحينئذ نقدم التعديل؛ لأن معه زيادة علم.

هذا الكلام والتفصيل باعتبار التعديل والتجريح من حيث هو، لكن **قد نقدِّم المعدِّلَ أو الجارح لسبب آخر خارج عن موضوع الجرح والتعديل، وهو أنه إذا كان المعدِّل مثلًا ممن عاصر هذا الشخص، وعرف حاله تمامًا، فإنه يقدَّم على غيره؛ لأنه أعلم به من غيره، وعلى العكس إذا كان بعيدًا عنه، وإنما يسمع عنه سماعًا؛ لأن علم الإنسان بمن يصحبه، ومن هو معه دائمًا، أكثر من علم غيره به**».(٢)

وقال –رحمه الله– بعد أن فصّل القول في الحالات التي يقدم فيها الجرح على التعديل والعكس: «يُلاحظ أن هذا الكلام بالنسبة لتعارض الجرح والتعديل من حيث هما، لكن إذا علمنا أن الجارح ألصق بالمتكلَّم فيه من المعدِّل نقدِّم الجارح على كل حال، والعكس بالعكس؛ **فإذا علمنا أن المعدِّل ألصق بالمعدَّل من الجارح قدمناه على كل حال**»(٣).

فإذا رد العالم جرح الجارح مصرِّحًا بعدم ثبوته لأن الجارح لم يُقِم عليه دليلًا مقنعًا فإنه لا يقول:

---

(١) الفتاوى الحديثية (٢/٤٧-٤٨).

(٢) شرح نزهة النظر (ص ٤٦٦).

(٣) شرح مختصر التحرير (ص ٦٥٧-٦٥٨).

(الجرح المفسَّر مقدَّم على التعديل) بعد علمه بذلك إلا صاحب هوى أو صعفوق جاهل جهلًا مركَّبًا، **لا سيما إذا كان المعدِّل هو حامل لواء الجرح والتعديل في هذا العصر -أعني: العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله-، وكان المعدَّل أحد تلاميذه الذين يعرفهم غاية المعرفة، ويعلم ما له من جهود في تعليم الناس، والدعوة إلى الله، والذب عن السلفية.**

فنحن نُلْزِم الأحمدَ وغيرَه من الطائفة المصعفِقة بالقواعد التي قررها وحررها أئمة أهل السنة والجماعة، وليست هي من تقعيدات الصعافقة كما يدعي، وصدق الشيخ محمد بن هادي لما قال عن الخلاف الواقع بين السلفيين: «أهل العلم بتطبيق القواعد سيعرفون من هو المصيب ومن هو المخطئ»(١).

وقد بينتُ في وقفتي السابقة بالأدلة والنقول الموثقة مخالفة طريقة الشيخ الذي يتعصب له الأحمد في تحذيره ممن ينبزهم بلقب الصعافقة لمذهب أئمة الحديث وقواعد أهل السنة، ومشابهتها لمنهج فالح الحربي في تجريح السلفيين الذي نقضه العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-، فلم يَرُدَّ الأحمد على شيء من ذلك بحرف، فليتأمل العقلاء!

والحق أن الأحمد هو الذي يقعِّد قواعدَ تتمشى مع هواه ويدعها جانبًا متى ما خالفته، وإليكم مثالان على ذلك:

المثال الأول: حينما جُرِح بعض من يواليهم الأحمد وهجرهم معظم السلفيين قعّد الأحمد قاعدة لأجل الدفاع عنهم فقال: «فالمبتدع هو الذي يهجر مطلقا ولا يجالس ولا يسلم عليه ولا يأخذ عنه العلم... إلى غير ذلك.

وأما السني السلفي المجروح بغير البدعة فهو بخلاف ذلك... فالسني السلفي المجروح يُحذر منه بقدر ما عنده من الوصف بالجرح ولا يتجاوز إلى غيره، ويتعامل معه بالأساليب الشرعية السنية النافعة»(٢).

---

(١) قاله حينما خرج عن صماته في مسجد بدري العتيبي بالمدينة.

(٢) في رسالة نشرها عبر الواتس آب بعنوان: «الفرق بين التعامل بين المبتدع وبين السني السلفي المخطئ»، وهي قاعدة باطلة لم يسبقه إليها أحد من العلماء، وقد بين ما في رسالته من أباطيل الشيخ أحمد بن سليمان بادخن في مقال سماه: «مناقشة لكلام عبد الله الأحمد في معالجته لبعض الفتن الواقعة»، والغرض من إيراد

فأين الأحمد الآن من هذه القاعدة التي جاء بها من كيسه؟ هل هو يطبقها على الخلاف مع من يسميهم بالصعافقة من السلفيين؟ الجواب: كلا، فإنه يجعل الخلاف معهم صراعًا بين الحق والباطل ويتعصب لرأي الشيخ محمد بن هادي الذي حذر منهم تحذيرًا أبلغ من تحذيراته من أهل الأهواء والبدع، والذي يظن أني أبالغ في هذا فليقرأ ما نقلته عنه في وقفتي الثانية مع الأحمد.

المثال الثاني: حينما زكى العلامة ربيع –حفظه الله– من يواليهم الأحمد قعّد قاعدة ليلزم بها من لم يقبل تلك التزكية التي عارضت جرح غيره –ولم ينف ثبوته–، فقال: «والله وبالله وتالله لو جاءوا بأدلة صحيحة ثابتة في[1] جرح فلان –وسمى عدة أشخاص– لما وسع حامل راية الجرح والتعديل في هذا الزمن إلا قبولها وعدم ردها، فكيف به وقد زكاهم بعد علمه بالجرح، ومن يدندن حول جرحهم الآن فهو والله طاعن في العلامة ربيع شعر أو لم يشعر[2]»[3].

ثم لما زكى العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله– مجموعة من طلاب العلم الذين ينبزهم الأحمد بلقب الصعافقة بعدما طالب الشيخ محمد بن هادي بإقامة الحجج على جرحهم فوجد أنه ليس عنده شيء، ضرب الأحمد بالقاعدة التي قعّدها آنفًا عرض الحائط، ورد تزكية الشيخ ربيع لهم بكل وقاحة، وتحكَّم على من زكاهم، وتقوَّل على السلفيين، وتألَّى على الله، فقال: «الصعافقة لو جاءوا بتزكيات من هنا إلى عنان السماء فلن تقبل منهم حتى يتوبوا إلى الله تعالى توبة صادقة ويصلحوا ما أفسدوا مما أودعوه في الدعوة السلفية من فرقة واختلاف يشهد عليهم بذلك كل سلفي صادق من القاصي والداني، ويقول لهم كل سلفي صادق عرف حقيقتهم: حنانيكم والله لن تنفعكم

هذه القاعدة هنا بيان تناقضات عبد الله الأحمد بسبب اتباعه لهواه.

(١) كذا.

(٢) شنع الشيخ محمد بن هادي في الكلمة التي ألقاها يوم السبت ١٩ ربيع الآخر ١٤٣٩هـ بعنوان «المرء على دين خليله» على من قال في تغريدة له: «رد جرح العالم جرح فيه» وبالغ في ذم هذه القاعدة؛ لأن أحد من يسميهم الصعافقة قام بإعادة تلك التغريدة في حسابه، فهل الشيخ سيشنع على عبد الله الأحمد الذي أقسم بالله أن رد تعديل الشيخ ربيع طعنٌ فيه كما شنع على صاحب التغريدة ومن أعادها ويتهمه بما اتهمهما من سوء القصد، أو أن الوضع يختلف لأن الأحمد نعم الرجل عنده وعين الرضا عن كل عيب كليلة؟

(٣) رسالة بعثها عبر الواتس آب، وهي موثقة بالصورة في وقفتي الأولى مع الأحمد.

هذه التزكيات عند الله (!) ولا عند السلفيين ما دام أنكم تسيرون على طريقتكم الماكرة في شق الصف السلفي».[1]

فهذه نماذج من التأصيلات التي أصَّلها الأحمد وقررها ثم خالفها حينما لم تتوافق مع أهوائه، وهي تدل على أن قوله: «لما وصلت لهم نار الفتنة التي اوقدوها مما يقرب الآن الأربع سنوات وظنوا أنهم يربحون فيها إذا هُم الآن يصتلون[2] بنارها لذلك غيروا قواعدهم التي كانوا يقعدونها والطريقة التي كانوا يسلكونها» حائر عليه، فهو يرمي غيره بما هو واقع فيه كما تعودنا ذلك منه، ففيه شبه بمن خاطبهم الله بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، فليتأمل العقلاء!

وأما دعواه أن من ينبزهم بلقب الصعافقة يلهثون وراء تزكيات العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله– فهذا أيضًا من بغيه؛ فالشيخ ربيع إنما سأله عنهم من كان يتعاون معهم في مجالات الدعوة كالدورات العلمية والإذاعات السلفية، فأراد أن يعلم قول الشيخ فيهم بعد أن أذاع الشيخ محمد بن هادي تحذيراته الشديدة منهم في كل أنحاء العالم بدون أدلة فلم يقتنع برأيه فيهم، فزكاهم الشيخ ربيع مجيبًا على سؤاله بما علمه من حالهم وعدم صحة ما جرحهم به الشيخ محمد بن هادي، وطلب السائل الكتابة أو التسجيل من الشيخ لتكون لديه حجة قوية إذا ما أنكرت عليه الفئة المصعفقة الباغية تعاونه مع الملحَقين بأهل الأهواء –حسب حُكْم الشيخ محمد بن هادي–، فتزكية الشيخ ربيع لهم كانت بغير طلب منهم، فأين اللهث المزعوم؟ ما هو إلا أحد تشغيبات الأحمد الكثيرة التي يحاول بها جاهدًا إقناع الأغبياء بأحقية الجرح لهم، ومَثَله كالذي قال: عَنْزَةٌ ولو طارتْ!

والعقلاء الذين تأملوا ما في رسالة الأحمد من الأكاذيب والافتراءات والاتهامات الباطلة تبين لهم جليًّا أن ادعاء الشيخ محمد بن هادي المدخلي أن حجة من ينبزهم بلقب الصعافقة الكذب[3] قَلْب للحقائق، وأن هذا الوصف إنما ينطبق على الذين ينتصرون لرأيه أو بالأحرى: الذين ينتصر لرأيهم.

وقد دعا الأحمد في نهاية رسالته الهزيلة بقوله: «أسأل الله أن يحمي هذا المنهج ومن يحمله بصدق

(١) رسالة بعثها عبر الواتس آب، وهي موثقة بالصورة في وقفتي الأولى مع الأحمد.

(٢) هكذا، والصواب: يصطلون.

(٣) كما نقل ذلك عنه عبد الرحمن فقيهي في تعليق له على الفيسبوك.

وأن يخذل كل من أراد بهذا المنهج وأهله سوءاً إن ربي عليم خبير، وهو حسبنا ونعم الوكيل»، وأقول: اللهم آمين، وسيرى الله أي الفريقين أصدقهما في حمل المنهج السلفي والذب عنه، ومَن الناكبون عن نصرته والمخذِّلون لأهله.

أختم وقفتي هذه بنقلٍ بعض الكلمات النيرات للعلامة ربيع بين هادي المدخلي –حفظه الله– تعالى في التحذير من التعصب لآراء الرجال لا للحق المبيَّن بالأدلة، لعل العقلاء يتأملونها فتهديهم إلى سبيل الرشاد.

قال العلامة ربيع المدخلي –حفظه الله ورعاه–: «أنا أنصح الشباب السلفي أينما كانوا ألا يتفرقوا بسبب فلان وفلان، ولا يتعصبوا لفلان أو فلان، وإنما عليهم في مثل هذه المشاكل أن يترووا وأن يتثبتوا وأن يبحثوا عن الحق، فإذا تبين لهم الحق في أي جانب فعليهم نصرة الحق، ولا يجوز لهم أن يتسرعوا بالانضمام إلى هذا وذاك، بل يجب أن يقف المسلم الموقف الصحيح الذي يرضاه الله تبارك وتعالى من معرفة الحق والوقوف إلى جانبه ولو كان صادرًا من أعدى الأعداء، ومحاربة الباطل ولو صدر من أصدق الأصدقاء.

فنصيحتي للشباب في قضية فلان وغيره ألا يتسرعوا إلى التعصب لهذا أو ذاك، وإنما أن يسلكوا المسلك الإسلامي الصحيح الذي يرضي الله تبارك وتعالى، والبحث عن الحق، والتروي حتى يصل إلى الحقيقة الناصعة، وبعد ذلك يقول للمخطئ: أخطأت، وعليك أن تعود إلى الحق، ويكون جوابه: جزاك الله خيرًا فقد أصبت، وليس من المنهج السلفي في شيء من يسارع إلى نصرة المخطئين أو غير المخطئين إلا بعد أن يتبين له الحق.

هذه نصيحتي للشباب السلفي: أن يسلك هذا المسلك، وهذا عالجه شيخ الإسلام وشبه من يتسرع بالتعصب لهذا أو ذاك بالتتار المجرمين الذين يتعصبون للباطل(١)، فليحذروا أن يقعوا في هذه الخزية»(٢).

---

(١) يشير الشيخ إلى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– الذي نقلته عنه في نهاية وقفتي الثانية مع الأحمد، فليراجعها من يشاء الاطلاع على نصه.

(٢) مجموع كتب ورسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي (١٤/٣٨٧-٣٨٨).

وقال العلامة ربيع –حفظه الله– أيضًا: «التعصب واتباع الهوى من طرق أهل الجاهلية ومن طرق التتار كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، المؤمن يحاول أن يعرف الحق ويتمسك به ولو خالف هذا الحق من خالف، ولا يتعصب أبدا لخطأ فلان أو فلان أو رأي فلان وفلان، إنما يتمسك بكتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، ويوالي ويعادي على ما جاء به محمد ﷺ بعد أن يعرف أن محمدًا جاء به وليس بالأوهام، عرف أن هذه القضية جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام، دل عليها كتاب الله، ودل عليها رسول الله ﷺ، ودان بها السلف.

أما أن يأتي رجل جاهل وينصب نفسه إمامًا ويخوض في الأباطيل والضلالات تتعصب له فهذا من أعمال الجاهلية، بل لو كان إمامًا وأخطأ لو تعصبت له ففيك جاهلية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فهذا التعصب من شؤون الجاهليين ومن أعمالهم، أما المسلم الصادق فعليه أن يتنزه عن التعصب وعن المخالفات لما جاء به محمد ﷺ.

ولا يتعصب إلا غبي أو عصبي –يعني: مجنون مصاب بداء الأعصاب–، فالمسلم يجب أن يتنزه فلا يكون غبيًّا ولا مجنونًا عصبيًّا، يكون عاقلًا يطلب الحق، وإذا عرف الحق أخذ به ولو خالفه من في الأرض جميعًا، ولا يتعصب لا لإمام ولا لمأموم، ولا لصادق ولا لكاذب، وإنما يتمسك بالحق»(١).

وقال –حفظه الله– أيضًا: «نصيحتي لكم: إذا تَكُلِّم في شخص أن تَدْرُسوا عنه، وتأخذوا أقوال الناقدين وتفهموها، وتتأكدون من ثبوتها، فإذا تبين لكم ذلك فليحكم الإنسان من منطلق الوعي والقناعة لا تقليدًا لهذا أو ذاك، ولا تعصبًّا لهذا أو ذاك، ودعوا الأشخاص فلان وفلان، هذه خذوها قاعدة»(٢).

وقال –حفظه الله– أيضًا: «وجدنا كثيرًا من السلفيين يدور حول الأشخاص لا حول الحق، هذا

(١) المصدر السابق (١٤/٤٠٣-٤٠٤) بتصرف.

(٢) من محاضرة بعنوان: «خطورة الكذب وآثاره السيئة وموقف الإسلام منه».

مرض خطير، إيّانا أن ندور مع الأشخاص، فيجب أن تَزِنَ الأشخاص بالحق، لا تزن الحق بالأشخاص»[١].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه:

ناصر المظلوم

يوم الأحد ٤ جمادى الأولى عام ١٤٣٩هـ

---

(١) من مادة مسجلة بعنوان: «مناظرة حول الأوضاع في أفغانستان».